Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i2

تجليات المكان في ديوان (ضفَّتان لعمرٍ واحد)

م. د. فائق نعمة هنيدي
قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات, جامعة الشطرة، ذي قار، العراق
faeq.neamah@shu.edu.iq

الملخص

يتناول الباحث في دراسته ديوان ضفتان لعمر واحد للشاعر مشتاق حميد فنجان، مركّزًا على تمظهرات المكان وأبعاده الجمالية والفنية في النص الشعري. وقد سعى الشاعر إلى توظيف المكان بشكل فني واقعي يعكس رؤاه الفكرية والنفسية، مما دفع الباحث إلى تحليل هذا العنصر بوصفه بنية أساسية في تشكيل الدلالة داخل الديوان. قُسّمت الدراسة إلى أربعة مباحث: المكان المفتوح والمغلق، المكان والشخصية، المكان والزمان، ما يتيح تغطية شاملة لتجليات المكان. يظهر المكان في الديوان ليس كعنصر وصف خارجي فقط، بل ككيان حيّ يتفاعل مع الشاعر وشخصياته، ويكثّف من عمق التجربة الشعرية. يُستثمر المكان ليرمز إلى الاغتراب، والحنين، والانتماء، والتاريخ، فيمنح النصوص أبعادًا متعددة. كما يُسهم في بناء المشهد النفسي للشاعر ويعكس صراعاته الداخلية. ومن خلال هذا التوظيف الفني، يرسم الشاعر لوحة شعرية نابضة بالحياة والمعنى. لقد استطاع الباحث من خلال تقسيمه المنهجي أن يقدّم قراءة نقدية جادة تسلط الضوء على خصوصية المكان كأداة فنية وتأويلية في شعر مشتاق فنجان ، و ويُلاحظ أن الشاعر لا يكتفي بوصف المكان، بل يُفعّله بوصفه جزءًا من التجربة الوجودية التي يعيشها، فيصبح المكان شاهداً على تحولات الذات وتفاعلاتها مع العالم. كما يتجلّى البُعد الرمزي للمكان في استحضار الأمكنة التاريخية والوطنية التي ترتبط بالهوية والذاكرة. ومن خلال تنوع الأمكنة ما بين مغلقة ومفتوحة، وماضوية وراهنة، يكشف الشاعر عن رؤيته للواقع والإنسان. لذا، فإن دراسة المكان في هذا الديوان لا تُعد تحليلًا جماليًا فقط، بل هي أيضًا استكشاف لبنية الوعي الشعري لدى مشتاق فنجان.

الكلمات المفتاحية : المكان، الزمان، المكان المفتوح، المكان المغلق

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i2

Manifestations of Place in the Poetry Collection "Two Banks for One Lifetime" by Mushtaq Hameed Finjan

Dr. Faiq Ne'ma Hunaidi
Department of Arabic Language, College of Education for Girls , University of Shatra, Dhi Qar, Iraq
Faeq.Neamah@shu.edu.iq

Abstract
The researcher in this study examines the poetry collection *"Two Banks for One River"* (*Ḍifatān li-ʿUmar Wāḥid*) by the poet Mushtaq Hamid Finjan, focusing on the manifestations of *place* and its aesthetic and artistic dimensions within the poetic text. The poet seeks to employ place in a realistic and artistic manner that reflects his intellectual and psychological visions. This motivated the researcher to analyze place as a fundamental structure in shaping meaning throughout the collection.The study is divided into four sections: open and closed spaces, place and character, place and time—allowing for a comprehensive exploration of spatial manifestations. In the collection, place is not merely a descriptive external element, but a living entity that interacts with the poet and his characters, intensifying the depth of the poetic experience. Place is utilized to symbolize alienation, nostalgia, belonging, and history, granting the texts multiple layers of meaning. It also contributes to constructing the poet's psychological landscape and reflects his inner conflicts. Through this artistic employment, the poet paints a vivid and meaningful poetic tableau.With a methodical division, the researcher presents a serious critical reading that highlights the distinctiveness of place as both an artistic and interpretive tool in Mushtaq Finjan's poetry. It is notable that the poet does not merely describe place, but activates it as part of the existential experience he undergoes. Thus, place becomes a witness to the transformations of the self and its interactions with the world. The symbolic dimension of place is also evident in the evocation of historical and national spaces associated with identity and memory. Through the diversity of spaces—open and closed, past and present—the poet reveals his vision of reality and humanity. Therefore, the study of place in this collection is not only an aesthetic analysis but also an exploration of the structure of poetic consciousness in the works of Mushtaq Finjan.

Keywords: Place, Time, Open Space, Closed Space.

المقدمة

المكان

يُعَدُّ المكان أحد العناصر الأساسية في العمل الأدبي، حيث يُشكِّل الإطار الذي تنبثق منه الأحداث وتتحرك وفقه الشخصيات. فهو البُعد الذي تتلاقى عنده المعاني وتتقارب فيه المسافات، مما يسهم في إدماج المتلقي داخل بنية العمل الأدبي. كما أنه يشكّل عنصراً جوهرياً في البناء الشعري، إذ يُمكِّن الشاعر من عرض تطوراته الفكرية والجمالية ضمن نسق نظمي متكامل، مستعينًا بما يمتلكه من أدوات أدبية تثري النص وتعزّز قيمته الفنية ، كما تتمثل أهمية المكان في الشعر العربي في كونه بعد عنصراً أساسياً يساهم في تشكيل النصوص الشعرية ويعكس البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها الشاعر. يعتبر المكان بمختلف أشكاله، سواء كانت طبيعية أو حضرية أو تاريخية، حيزاً يثري التجربة الشعرية ويعبر عن مشاعر الشاعر ورؤيته للعالم من حوله. يعكس المكان الثقافة والتاريخ، حيث يساهم في إضفاء العمق والدلالات الرمزية على القصائد. يستغل الشعراء مختلف الأماكن لتصوير الأحاسيس المختلفة، فالأماكن الطبيعية مثل الجبال والأنهار تصور السكينة والصفاء، في حين تعكس الأماكن الحضرية صخب الحياة وتعقيداتها. كما أن المكان يربط الشاعر بجذوره وهويته، ويحفز ذكرياته وتجربته الذاتية، مما يساهم في تشكيل عمق النص الشعري ويجعله أكثر تفاعلاً مع القارئ. ينكشف لنا، من خلال دراسة المكان في القصائد المختلفة، كيفية تأثير البيئة الجغرافية على الإبداع الأدبي، وكيف يمكن للأمكنة أن تكون شاهداً على التحولات الثقافية والاجتماعية. بهذا الشكل، يصبح المكان ليس مجرد خلفية للنصوص الشعرية، بل شخصية حيوية تضاف إلى القصائد ونعطيها معاني إضافية، مما يجعل دراسة المكان في الشعر العربي أمراً بالغ الأهمية لفهم أعمق للشعر نفسه.. وبناءً على ما سبق، يمكن تناول مفهوم المكان من حيث دلالاته اللغوية والاصطلاحية.

المكان لغةً:

كَانَ أَو مَوْضِع وقد جاء في لسان العرب لابن منظور (711هـ) تحت جذر مادة " كون" بمعنى: والمكانُ الْمَوْضِعُ، وَالْجَمْعُ أَمْكِنة كقَذَال وأَقْذِلَةٍ، وأَماكِنُ جَمْعُ الْجَمْعِ. قَالَ ثَعْلَبٌ: يَبْطُل أَن يَكُونَ مَكانٌ فَعالًا لأَن الْعَرَبَ تَقُولُ: كُنْ مَكانَكَ، وقُم مكانَكَ، وَاقْعُدْ مَقْعَدَك؛ فَقَدْ دَلَّ هَذَا عَلَى أَنه مَصْدَرٌ مِنْهُ"[1] ، و هو مشتق من الفعل (مَكَنَ)، أو(مَكَنَ) من مكان، فنقول :"تمكن المكان، وبه استقر فيه، و المكين الثابت، و أمكنه من الشي: أقدره عليه، و جعله في قبضته"(2) ، فيراد به الثبات، و الاستقرار في مكان ما، و جاء في تاج العروس " المكان هو الموضع المحاذي للشيء"(3)

اصطلاحاً:

المكان " يعتبر بمثابة العمود الفقري لأي نص، و بدونه تسقط العناصر المشكلة له "(4) ، فقد أولو النقاد العناية الفائقة له، فالمكان في النقد الأدبي " ليس جالاً هندسياً تُضبط حدوده، و أبعاده وقياسات خاضعة لحسابات دقيقة، كما هو الشأن بالنسبة للأمكنة الجغرافية ذات الحضور الطوبوغرافي، إنما يتشكل من التجربة الأدبية انطلاقاً لما عاشه الأديب على مستوى اللحظة الأنية مماثلاً بتفاصيله ومعالمه، أو على مستوى التخيل بملامحه، و ظلاله"(5) ، "فهو جهد يصاحبه تخيل لصاحب التجربة، ليسهم في خلق معاني تشد المتلقي إليها، و المكان مكون محمري في السرد بحيث لا يمكن تصدر حكاية بدون مكان، فلا وجود للأحداث خارج المكان ذلك ؛ لأن كل حدث

يأخـذ وجـوده فـي مكـان محـدود، و زمـن معـين"(6) ، نجـد المكـان عنـد عبـد الملـك المرتـاخي" كـل مـا عنـى حيـزاً جغرافيـاً حقيقيـاً مـن حيـث نطلـق الحيـز فـي حـد ذاتـه علـى كـل فضـاء خرافـي، أو أسـطوري، أو كـل مـا يفيـد عـن المكـان المحسـوس، كـالخطوط، و الأبعـاد، و الأحجـام، و الأثقـال، و الأشـياء المجسـمة مثـل الأشـجار، و الأنهـار ومـا يعتريهـا مـن حركـة، أو تغييـر"(7) ، "فالمكـان قـد لا يكـون مجـرد رقـم، أو مسـاحة، و" لـيس بنـاءً خارجيـاً مرئيـاً، و لا حيـزاً محـدود المسـافة، و لا تركيبـاً مـن غـرف، و أسـيجة ونوافـذ، بـل هـو كيـان مـن الفعـل المغيـر والمحتـوى علـى تـاريخ مـا، أو المُضمنة أبعاده بتواريخ الضوء والظلمة"(8).

أهمية المكان

إنَّ مفـردة المكـان لا يمكـن أنْ تقصـر علـى مكـان دون آخـر ، وذلـك ؛ لأن دور الأمكنـة تتـداخل فيمـا بعـد لتنـتج التوالـد حصـرية وتـتحطم المحدوديـة وتكشـف لنـا لفتـرة جديـدة متخيلـة تمامـا الأمكنـة الكلاسـيكية ، وسـهلة الوصـول إلـى قريحـة الأديـب الشخصـي مـن خـلال تسـليط الضـوء علـى أمـاكن يتخيلهـا، ثـم بعـد ذلـك يـؤمن ذهـن القـارئ ليقنعـه تمامـا وجودهـا ، وتظـل مشـروعية وجـود تلـك الأمـاكن حسـب القـدرة الفرديـة ، و الإقناعيـة التـي عصـرها الشـاعر؛ ليحـاول أن يثبتها عن طريق بثه الشعري.

كمـا يعتبـر المكـان عنصـرا أساسـيًا ومهمـا فـي عـالم الشـعر العربـي، حيـث يسـتخدم بشـكل فعـال لتشـكيل النصـوص الشـعرية وتحقيـق إيصـال معـاني عميقـة تـرتبط بمشـاعر الإنسـان وتجـارب الحيـاة المتنوعـة. لقـد أضـفى الشـعراء العـرب مكانـة خاصـة وأهميـة كبيـرة علـى عنصـر المكـان، سـواء أكـان طبيعيـا بأجوائـه الخلابـة أو حضـريا بمكوناتـه وحياتـه المتنوعـة، حيـث ربطـوا ببراعـة بـين البيئـات المختلفـة وتجـاربهم الذاتيـة المتنوعـة. يعتبـر المكـان أيضـا رمـزا للأوقـات والأمـاكن الحميميـة التـي تشـكل جـزءًا لا يتجـزأ مـن ذكريـات الشـاعر وتجاربـه الفريـدة. إلـى جانـب ذلـك، يعكـس المكـان فـي الشـعر الهويـة الثقافيـة الغنيـة والتاريخيـة للأديـب والمجتمـع الـذي ينتمـي إليـه، ممـا يجعلـه أداة فعالـة ومـؤثرة لتوصـيل الأفكـار والمشـاعر إلـى المتلقـي بشـكل مميـز. مـن خـلال دراسـة أهميـة المكـان فـي الشـعر العربـي، يمكننـا أن نفهـم بشـكل أفضـل كيـف اسـتخدم الشـعراء هـذا العنصـر لتحقيـق تواصـل عميـق وفعـال مـع الجمهـور، بحيـث. يصـبح المكـان مصـدر إلهـام متجـدد ورمـزًا يحمـل العديـد مـن الـدلالات الثقافيـة والاجتماعيـة المنوعـة. هـذا البحـث سيسـلط الضـوء بشـكل مفصـل علـى أنـواع الأمـاكن المختلفـة والتغيـرات التـي طـرأت علـى تصـوراتها مـن الشـعر الجـاهلي إلـى الشـعر الحـديث، ممـا يبـرز دور المكـان كعنصـر فاعـل ومـؤثر فـي عمليـة بنـاء الـنص الأدبـي وتشـكيل التجربة الشعرية.

فالأمـاكن مهمـا صـغرت، أو كبـرت، أو مهمـا ضـاقت، أو اتسـعت تظـل محـاولات لإفهـام مـا فـي الـنص، أو تسـبغ علـى الـنص لمسـة واقعيـة؛ لكـي تسـهم فـي خلـق جـو يسـاعد فـي فـك مغـاليق الـنص، " فالمكـان عنصـر أساسـي مـن عناصر السرد القصيدة كونه أكثر عمقاً وتنوعاً، و تغلغلاً في التشكيل البنائي لها"(9).

لقـد أولـى الشـاعر مشـتاق حميـد اهتمامًـا بالغًـا بالأمـاكن، وجعلهـا محـورًا أساسـيًا فـي توجهاتـه الفكريـة، إذ حرص على تضمينها في قصائده بشكل واضح، كما يتجلى ذلك في التمثيل الواقعي لعدد كبير من الأمكنة.

المبحث الأول : المكان والشخصية

تعتبر العلاقة بين المكان والشخصية من الموضوعات المهمة التي تستحق الدراسة والتحليل، حيث إن المكان له تأثير كبير على سلوك الفرد وتوجهاته النفسية والاجتماعية بعد المكان بمثابة الإطار الذي يتشكل فيه الإنسان منذ طفولته، حيث يؤثر في تكوين شخصيته وعالمه الداخلي. يمكن أن يتواجد الفرد في بيئات متنوعة، تعكس ثقافات وأيديولوجيات مختلفة، مما يؤثر على نظرته إلى الحياة وعلى سلوكياته ومعتقداته. من جهة أخرى، يساعد فهم تأثير المكان في تحسين جودة الحياة للناس، إذ يؤدي إلى تعزيز الروابط الاجتماعية وتقوية الهوية الإنسانية. في هذا السياق، يسعى هذا العمل إلى تسليط الضوء على مفهوم المكان وتأثيره على الشخصية من خلال استكشاف أنواعه وأهميته وارتباطه بالثقافة والبيئة. يبدأ هذا البرنامج ببحث شامل عن تعريف المكان وأنواعه، لينتقل بعد ذلك إلى تحليل كيف يتفاعل الأفراد مع الأماكن المختلفة، وكيف تساهم هذه العلاقة في تشكيل هو يتهم ورؤيتهم للعالم. بعد المكان ليس مجرد مكان مادي، بل هو تجسيد لتجارب الإنسان ومشاعره، مما يعكس حقيقه الذاتية وارتباطه بالمجتمع البيئة والذات. المحيط به. لذلك، فإن دراسة المكان وتأثيره على الشخصية تتيح لنا فهم أعمق للعوامل النفسية والاجتماعية التي تشكل إنسانيتنا والتفاعل المستمر بين

الشخصية في اللغة: جاء في لسان العرب أنها من مادة (شخص) "الشَّخْصُ: جماعةُ شَخْصِ الإنسان وَغَيْرِهِ، مُذَكَّرٌ، وَالْجَمْعُ أَشْخاصٌ وشُخُوصٌ وشِخاص..... والشَّخْصُ: سوادُ الإنسان وَغَيْرُهُ تَرَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، تَقُولُ ثَلَاثَةُ أَشْخُصٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ رأَيت جُسْمانَه، فَقَدْ رأَيتَ شَخْصَه. الشَّخْص: كلُّ جِسْمٍ لَهُ ارْتِفَاعٌ وَظُهُورٌ، والمرادُ بِهِ إِثباتُ الذَّاتِ فاسْتُعير لَهَا لفظُ الشَّخْصِ، وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخرى:

لَا شَيءَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا يَنْبَغِي لشَخْصٍ أَن يَكُونَ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ. والشَّخِيصُ: العظِيم الشَّخْصِ، والأُنْثى شَخِيصةٌ"(10).

أما اصطلاحاً:

"هي الشخصية الرئيسية هي أصل العمل، البطل الذي يقوم بالدور الرئيس فيها"(11) ، و المكان بوصفه مأوى الإنسان له أهمية التي تكمن " في كونه محمور إن صح التعبير – مأوى الحياة أي مأوى الزمن ومسقط هويته ودلالته فعلاً وقابل منفعلاً "(12) ، و إذا تأملنا العلاقة بين الشخصية والأمكنة، نلاحظ أنها علاقة متبادلة ومتداخلة في التأثير والتأثر " بالمكان خاصة وحميمة وعميقة ؛ لأنها يعانيها الجسد وتكابدها الروح"(13) فالمكان يُعد فضاءً للإيواء والاستقرار، تمارس فيه الشخصية تفاعلاتها الحياتية وتعيش من خلاله تجاربها المختلفة" والشخصية هي احد الأفراد الخياليين، أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة، أو العمل الأدبي"(14)

فعلى الرغم من قِصر قصائد مشتاق حميد ، إلا أنها تنبض بالشغف والحب وتحمل في طياتها العديد من الأفكار. كما نلحظ تكرار المكان في نصوصه، ومن أبرزها الوطن ، التي تتكرر في أكثر من قصيدة، كما يظهر ذلك جليًا في قصيدة (يا عراق).

إذ يقول:

يا عراق الحرف يا أفصح شاعر
سوف نبنيك بقلب ومشاعر
سوف تعلو صرخة رغم الوَثَاقِ ... يا عراقي

***

يا يقيناً باشر القلب ويا

علماً في رأسه نار القرى

قد تجليت إلاها فوق تاريخ الورى

في طوى العزة كلمت ووديك امتلا

وأنا موسى أرى

اخلع النعلين ناديت ودمعي قد جرى

أو تدري صرت في وادي العراق ... يا عراقي(15)

القصيدة تمثل مديحًا روحيًا وعاطفيًا للعراق، وتصور الوطن بوصفه كيانًا مقدسًا، يحمل في طياته القوة، والتاريخ، والعاطفة، والمستقبل. الشاعر يخاطب العراق كمكان مقدس كما يُخاطب الإنسان أو حتى الكائن المقدس، مانحًا إياه صوتًا وروحًا.

ففي قوله (يا عراق الحرف يا أفصح شاعر"

في هذه الاستهلالة، يفتتح الشاعر القصيدة بمناداة مهيبة لعراقٍ متخيل وكأنه شاعر بنفسه. هنا يُجسَّد الوطن ككائن ناطق ومبدع، فيه "الحرف" و"الفصاحة"، مما يربطه بالحضارة والتاريخ الثقافي.

- (سوف نبنيك بقلب ومشاعر)
- تعبير عن الإصرار على إعادة بناء العراق لا بالمعمار فقط، بل بالمحبة والانتماء العاطفي، وهي دعوة للمساهمة الوجدانية في النهوض بالوطن.
- (سوف تعلو صرخة رغم الوثاق)

هنا تظهر نبرة التحدي والأمل، فالصرخة ترمز إلى الثورة أو النهوض، و"الوثاق" إلى القيد أو الاحتلال أو المعاناة. لكن رغم القيود، فإن الصوت سيعلو.

- (يا يقيناً باشر القلب ويا علماً في رأسه نار القرى)
- العراق هنا يظهر كرمز للإيمان والعلم، كأنه مصدر للمعرفة وموقد للإلهام، يضيء "نار القرى" — والتي قد ترمز للثورات أو إشراقات الوعي.
- "قد تجليت إلاها فوق تاريخ الورى"
- صيغة تقترب من التصوف، إذ يشبّه الشاعر العراق بالإله المتجلي على مرّ تاريخ البشرية. هذه مبالغة مقصودة تهدف إلى تقديس الوطن وتأكيد مركزية العراق في الوجود التاريخي والروحي.
- "وأنا موسى أرى" / "اخلع النعلين ناديت ودمعي قد جرى"
- استدعاء مباشر لقصة النبي موسى عند تجليه في الوادي المقدس (طوى)، مما يضع العراق في موضع "الوادي المقدس" ويضع الشاعر في موقع النبي الذي تجلّى له الحق. صورة دينية عميقة تُمجّد المكان وتُظهر تأثيره الروحي.
- "في وادي العراق ... يا عراقي"
- هذا الخاتمة تنسجم مع الرؤية السابقة وتربط بين العراق والمكان المقدّس، كما تؤكد على وحدة الشاعر بالوطن والهوية ، و في القصيدة، كان حضور المكان بارزًا ومقدسًا، إذ تجلى العراق ليس كموقع

جغرافي فحسب، بل كرمز روحي وتاريخي. فقد صوّر الشاعر العراق كوادي مقدس أشبه بوادي "طوى" الذي تجلى فيه الإله لموسى، مما منحه بعدًا دينيًا ونفسيًا عميقًا. كما ظهر المكان حاضنًا للمشاعر والانتماء، ومسرحًا للمعاناة والأمل معًا، فكان الفضاء الذي تنبع فيه الأحاسيس وتعلو فيه صرخة التحدي رغم القيود.

كما نجد المكان واضح وجلي في قصيدة أخرى للشاعر(مشتاق حميد) وبها كذلك يتغنى بحبه لوطنه العراق ، فهو متيم بحب العراق ذلك الوطن الذي يستحق الحب والتفاني والهيام به فند شاعرنا يقول: هذا العراق

هذا العراق
وهذا النخل والجبل
هذا الفرات جرى من صلبه الأمل
وهذه دجلة الخيرات
نائمة بين الضفاف
وبدر العشق مكتمل
وهذه سومر الأجداد
ترشِدُنا
أعلُ المسلَّةَ إنَّ الوصلةَ مُتَّصلُ
وقلب بابل
يسعى نحو أضلعنا
غنت لأشوار لحناً طعمه الزَّجَلُ
غنت على زورق الأهوار موصلنا
من شدو "ناظم" بالألحان تكتحل(16)

في القصيدة، يُصور المكان العراقي كنسيج حي نابض، يجمع بين الطبيعة والتاريخ والثقافة، فيظهر كشخصية شعرية ذات صوت، ذاكرة، وانفعال. الشاعر لا يصف المكان، بل يعيش فيه ويتماهى معه، مما يجعل حضور المكان مركزياً في بناء المعنى والهوية، حضور المكان الطبيعي:(لنخل، الجبل، الفرات، دجلة، الضفاف، الأهوار) هذه الأماكن الطبيعية تُستخدم لإبراز ثراء العراق البيئي والجغرافي، فهي ليست ديكورًا، بل رموزًا للخصب والاستمرارية والحياة. الأهوار تمثل المكان الشعبي التراثي، حيث تلتقي الطبيعة بالثقافة، وتُستحضر بصوت الشاعر "ناظم الغزالي"، مما يضيف بعدًا سمعيًا وجماليًا للمكان.

حضور المكان التاريخي والحضاري:(سومر، بابل، المسلة، أشور) الشاعر يستدعي الذاكرة التاريخية العريقة للعراق عبر رموز حضاراته الكبرى، ليربط الحاضر بالماضي كل الأماكن (أنهار، مدن، رموز حضارية) تشكل في النهاية جسدًا شعريًا متماسكًا يمثل العراق الكلي.

المبحث الثاني المكان، و الزمان

يعتبر المكان والزمان عنصرين أساسيين في الأدب العربي، حيث يلعبان دورا مركزيا في تشكيل النصوص الأدبية وبناء المعاني يساهم المكان في تحديد الخصائص الثقافية والاجتماعية للبيئة التي ينتمي إليها

العمـل الأدبـي، ممـا يمكـن التـأثيرات التاريخيـة والجغرافيـة التـي تميـر كـل حقبـة زمنيـة مـن جهـة أخـرى، يعتبـر الزمـان بمثابـة الإطـار الـذي يحـدد الأحـداث ويعكـس التحـولات فـي الشخصـيات والقصـص بتنـوع اسـتخدام المكـان والزمـان فـي الأدب العربـي بـين الشـعر والنثـر، ويظهـر ذلـك مـن خـلال الأعمـال الأدبيـة التـي اسـتلهمت مـن بيئـات مختلفـة، بـدءًا مـن الصـحاري العربيـة والجمـال وصـولاً إلـى المـدن الحديثـة التسـاؤلات حـول كيفيـة تـأثير هـذه المناصـر علـى تشـكيل الهويـة الأدبيـة والثقافيـة وتجسـيد القـيم والمفـاهيم المختلفـة تعـد أمـورا عاليـة فـي الأهميـة للدراسـات الأدبيـة. مـن خـلال فهـم السـباقات التاريخيـة والاجتماعيـة التـي تصـاحب هـذه المناصـر، يمكننـا إدراك كيـف تتـداخل التجـارب الإنسـانية مـع القضـاء الزمكـاني، هـذا بالإضـافة إلـى أن الكثيـر مـن الأدبـاء العـرب اسـتطلوا المكـان والزمـان كوسـيلة لتنفيـذ رؤاهـم الفنيـة والإنسـانية. فالبحـث فـي البسـيط، وصـولا إلـى تـرك الأثـر فـي الثقافـة العربيـة المعاصـرة. تفاصـيل هـذه العلاقـة بـين المكـان والزمـان يسـاعد علـى فهـم أعنـى للأبعـاد النفسـية والاجتماعيـة فـي الأدب، ومـا يترتـب عليهـا مـن معـاني تتجـاوز السرد

ولا يمكـن فصـل المكـان عـن الزمـان، فهمـا عنصـران متكـاملان فـي تشـكيل الأحـداث. فـإذا كـان الزمـان يمثـل الخـط الـذي تتحـرك عليـه الوقـائع، فـإن المكـان يُجسّـد هـذا الخـط ويعـزّزه، إذ يشـكل الإطـار الـذي تحتضـن فيـه الأحـداث. ورغـم الاخـتلاف بينهمـا مـن ناحيـة الإدراك، حيـث يُـرتبط الزمـان بـالإدراك النفسـي، والمكـان بـالإدراك الحسـي، فـإن العلاقـة بينهمـا وثيقـة، تجعـل المكـان أحيانـاً عنصـراً تابعـاً للزمـان دون أن يُـنقص ذلـك مـن أهميتـه. فالمكـان لا يمكـن أن يتفاعـل خـارج إطـار الزمـان، كمـا أن دراسـة الزمـان فـي السـرد لا يمكـن أن تكتمـل دون أن يتجلـى معـه مفهـوم المكـان بمظاهره المختلفة.

ومـن خـلال تتبـع العلاقـة بـين الزمـان والمكـان فـي أشـعار مشـتاق حميـد ، يتبـين أنهـا علاقـة تلازميـة حتميـة، إذ يشـكلان معـاً الأسـاس الـذي يقـوم عليـه البنـاء النصـي فـي تجربتـه الشـعرية. فـلا يـأتي الزمـان أو المكـان مجـردين، بـل يظهـران كمنـاخ دائـم تتحـرك مـن خلالـه الشخصـيات وتتشـكل ضـمنه الـرؤى. ولهـذه الأهميـة أطلـق النقـاد علـى هـذا التلازم مصطلح "الزمكانية".

ففي قصيدة (لقاء مستحيل) نجد تلازم المكان ، و الزمان جلي وواضح جدا فيقول فيها:

لقاء مستحيل
لذكرى الـــــــدموع ...
لوقت الخشوع
تسيل النجوم كدمع الربـــي
وفي ليلة الثلث في لهفة
يقول الهلال الشمس النوى
مي نلتقي ...؟
فإني كرهت الظلام التقي
مللت النجوم أمامي تدور
وشعر لها حط من لونها
بكل هدوء على مفرقي
أجيبي وقولي ألا نلتقي ؟

فقالت له في تعال كبير

ألا يا صديقي فهذا محال

أتدري فأنت إلي بعيد

كبعد غروبي والمشرق

إذا شاء ربي في حينها

تسيل عيونك إن نلتقي .!(17)

نجـد الزمـان ، و المكـان حاضـرين فـي هـذه القصـيدة، فالزمـان يتجلـى الزمـان مـن خـلال إشـارات مباشـرة مثـل: (وقـت الخشـوع)، (ليلـة الثلـث)، وهـي تعبيـرات تـرتبط بلحظـات روحانيـة وصـوفية ذات طـابع دينـي، تعـزز الشـعور بالرهبـة والانتظار.(الثلـث الأخيـر مـن الليـل) يـوحي بـزمن الصـفاء الروحـي والتضـرع، وغالبًـا مـا يـرتبط بالـدعاء والاقتراب من الذات أو الإله.

الحـوار بـين الهـلال والشـمس يشـير إلـى مـرور الـزمن عبـر دورة الليـل والنهـار، مـا يعكـس صـراعًا بـين البعـد والقرب، الأمل واليأس.

النهايـة الزمنيـة معلقـة بقـدر إلهـي: (إذا شـاء ربـي فـي حينهـا)، ممـا يضـيف بعـدًا قـدريًا علـى العلاقـة بـين الزمـان وتحقيـق اللقـاء، بينمـا نجـد المكـان فـي القصـيدة يشـكل حضـور غيـر صـريح وغيـر الواضـح، يظهـر المكـان بشـكل ضـمني وذو طـابع كوني:(النجـوم، الظـلام، المفـرق، المشـرق، الغـروب) كلهـا مواقـع مكانيـة فلكيـة تشـي بمشـهد مفتـوح على السماء والكون.

اسـتخدام هـذه الصـور يخلـق فضـاء شـعريًا فسـيحًا، تتقـاطع فيـه حركـة الأجـرام السـماوية مـع مشـاعر الانتظـار والشـوق، غيـاب المكـان الملمـوس يجعـل مـن المكـان رمـزًا نفسـيًا، شـعوريًا، يـدل علـى التباعـد والمسـافة العاطفيـة والزمنية.

المبحث الثالث: المكان والحوار

تعتبـر العلاقـة بـين المكـان والحـوار مـن المواضـيع المعقـدة والمهمـة فـي الأدب، حيـث يتشـكل الـنص الأدبـي مـن تفاعـل هـذين العنصـرين. فالمكـان لـيس مجـرد خلفيـة للسـرد، بـل هـو عنصـر حيـوي يسـاهم فـي فهـم الشخصـيات وتوجيـه الأحـداث. يعبـر المكـان عـن ثقافـة وتـاريخ وهويـة مجتمعـات بأكملهـا، ممـا يتـيح للكتـاب إمكانيـة استكشـاف الـروابط العميقـة بـين البيئـة والبشـر. علـى الـرغم مـن أن الحـوار قـد يبـدو كوسـيلة للتواصـل، إلا أنـه مـن خـلال تـأثره بالمكـان. يعكـس أيضـاً سـياقات اجتماعيـة وثقافيـة مختلفـة تعـيش فيهـا الشخصـيات. إن دراسـة المكـان والحـوار نـوفر رؤى شـاملة حـول كيفيـة تشـكيل التجـارب الإنسـانية وتعبيـر الأدب عنهـا. مـن خـلال التعمـق فـي هـذه العلاقـة، يمكـن البحـث فـي كيفيـة تـأثير الخصـائص الجغرافيـة والبيئيـة علـى الطبيعـة الإنسـانية وتفاعلاتهـا، ممـا يسـهل فهـم الطـرق التـي يمكـن أن تـؤثر بهـا البيئـة علـى الكلمـات والمشـاعر والأفكـار المتبادلـة بـين الشخصـيات. فـي هـذا السـياق، سنسـتعرض أهـم المفـاهيم المتعلقـة بالمكـان والحـوار، مـع تقـديم أمثلـة مـن الأدب العـالمي والمحلـي التـي تظهـر هـذه العلاقـة بوضـوح وتبـرز أثرهـا في بناء النصوص الأدبية.

إن المتأمـل فـي العناصـر الأدبيـة يلاحـظ تـداخلها وتكاملهـا داخـل الـنص، حيـث تتفاعـل فيمـا بينهـا كوحـدة متجانسـة تسـهم فـي إثـراء الـنص الأدبـي، وتمنحـه طابعًـا أيقونيًـا متماسـكًا يجمـع بـين توجهـات وأسـاليب متعـددة. ويُعـد

الحـوار مـن التقنيـات البـارزة فـي الشـعر العربـي الحـديث، إذ يشـكّل وسـيلة فعّالـة لإبـراز الأصـوات وتعـدد الـرؤى. وقـد ورد لفـظ الحـوار فـي اللغـة كمـا فـي لسـان العـرب لابـن منظـور، علـى أنـه"والمُحاوَرَةُ: مُرَاجَعَـةُ الْمَنْطِـقِ وَالْكَـلَامِ فِـي الْمُخَاطَبَةِ، وَقَدْ حَاوَرَهُ. والمَحُورَةُ: مِنَ المُحاوَرةِ مَصْدَرٌ كالمَشُورَةِ مِنَ المُشاوَرَة كالمَحْوَرَةِ"(18).

أما مفهوم الحوار اصطلاحا:

يعتبـر الحـوار واحـدا مـن أبـرز العناصـر الأساسـية فـي الأدب العربـي، إذ يلعـب دورا محوريـا ومهمـا للغايـة فـي بنـاء النصـوص وتشـكيل الشخصـيات وتطـوير الحبكـة الأدبيـة بشـكل فعـال. إن الحـوار يعبـر عـن التفاعـل النصـي الغنـي بـين الشخصـيات المتنوعـة، ممـا يسـمح للكتـاب بـالتعبير عـن أفكـارهم وأرائهـم الشخصـية مـن خـلال تبـادل الكلمـات والأفكـار بطـرق مختلفـة. لقـد تنوعـت أشـكال الحـوار وأهميتـه عبـر العصـور الأدبيـة المتعافيـة، بـدءًا مـن الأدب الجـاهلي الـذي كـان يعكـس روح الـزمن، وصـولا إلـى العصـر الحـديث حيـث أصـبح الحـوار وسـيلة للتعبيـر عـن ثقافـات متعـددة وقضايا اجتماعية هامة تعكس التحولات السياسية والاجتماعية

مـن خـلال الحـوار، يـتمكن الأدبـاء مـن استكشـاف الأعمـاق النفسـية للشخصـيات بطريقـة تجعـل القـارئ يشـعر بعمـق تجربتهـا، فضـلاً عـن تحقيـق تواصـل فعـال ومـؤثر بينهـا، ممـا يثـري النصـوص الأدبيـة ويعمـق التجربـة القرائيـة ويشـغل ذهـن القـارئ. وفـي المقابـل، يعكـس الحـوار أيضـا الثقافـة واللغـة السـائدة فـي كـل عصـر ، فهـو لـيس مجـرد أداة للتفاعـل بـين الشخصـيات، بـل يعتبـر أيضـا وسـيلة لنقـل المعـاني والقـيم التـي تعبـر عـن فلسـفات المجتمـع وأفكـاره. بالتـالي، يعتبـر الحـوار فـي الأدب العربـي ركيـزة أساسـية تحمـل فـي طياتهـا تجـارب الإنسـان ومتغيـرات المجتمعـات المختلفـة، وهـو يعكـس فـي طياتـه عصـورا مختلفـة وخصوصـيات ثقافيـة متعـددة، ممـا يجعلـه موضـوعا غنيـا للدراسـة والتحليـل والدراسـة النقديـة، حيـث يمكـن للبـاحثين اسـتنتاج الكثيـر مـن المعـاني والـدلالات مـن خـلال دراسـة كيفيـة تـأثير الحـوار على تطور الحبكة وتشكيل الشخصيات في النصوص الأدبية المختلفة

" هـو حـديث يـدور بـين اثنـين علـى الأقـل ويتنـاول الموضـوعات، أو هـو كـلام يقـع بـين الأديـب ونفسـه، أو مـا يُنزلـه مقـام نفسـه يفـرض عليـه بالإنابـة عـن الموقـف والكشـف خبايـا الـنفس "(19) ، و الحـوار لـه أثـر كبيـر فـي العمـل الأدبـي ككـل، فهـو يسـهم فـي بنـاء الحـدث وبلورتـه، و" لأنـه يبنـي الوقـائع الصـغيرة ويـدخلها فـي خضـم الحـدث لتكـون جـزء منـه، كمـا يكشـف عـن الزمـان والمكـان بوصـفهما محـركين للحـدث والشخصـية، و تسـتقطب حولـه فكـرة الحـدث ومضـمونه، فهـو قنـاة الاتصـال"(20) ، فـالحوار الأدبـي داخـل الـنص الشـعري، وإن بـدا صـادرًا مـن شخصـية واحـدة، إلا أنـه فـي جـوهره يتوجـه نحـو المتلقـي، الـذي يشـغل موقـع "الشـخص الثالـث" غيـر المرئـي، وكأنـه جـزء ضـمني مـن التفاعـل القـائم بـين شخصـين أو أكثـر داخـل الـنص. ويظـل المنشـئ – أي الشـاعر – هـو المـتحكم الأساسـي فـي بنيـة العمـل الأدبـي، وفـي تشـكيل الشـخوص وتوجيـه مجريـات الحـوار.ففي قصـيدة (عيـد مـيلاد طالـب حـزين) بنشـط الحـوار ويظهر الراوي والمروي منه جليلاً، إذ يقول الشاعر مشتاق حميد :

عيد ميلاد طالب حزين
وجع بدا في كل زاوية وصف
ألم بقلب المدرسة
تبكي القراطيس الكتيبة حسرة
واللوح يبكي
والوسائل في حداد لا يهيد

واستوحشت فقد الكوادر قاعتي
دمع جرى من مقلة الصف الحزين
يقول أين معلمي؟
رحلت فصول مواسمي
ليست فصولي الأربعة
بل عشرةٌ
ولي الغصون ثلاثة
ماتوا بلا توديع
مثل فراشة قد مسها برد الربيع
فودعت
رحلوا ولون الحبر فوق أصابع
كتبت بصدق للبراءة أحرفاً

تركوا دفاتر صفهم من دون تصحيح
وخطة يومهم لم تكتمل
لكن موتاً في اشتياق تلهف
أومى لهم ... هيا تعالوا فالكتاب قد انتهى(21)

في هذه القصيدة التي تتناول مشهدًا جنائزيًا حزينًا داخل أروقة المدرسة، يتحد المكان مع الحوار ليشكّلا نسيجًا شعريًا يعبر عن عمق الفقد وأثر الغياب. المكان لا يأتي هنا مجرد مسرح للأحداث، بل يتحول إلى كائن حي ينبض بالحزن، تتكلم فيه الأشياء الصامتة، وتشارك في الرثاء. القاعة، اللوح، القراطيس، الوسائل التعليمية، كلها تنطق بأسى واضح، وكأنها تبكي غياب المعلمين أو الطلبة، لتتحول المدرسة إلى فضاء مفجوع، يعبّر عن وجع لا يُحتمل. الحوار الذي يتسلل بين الأسطر، سواء كان مباشرًا مثل قول الصف (أين معلمي؟)، أو غير مباشر عبر الصور الحسية، يُظهر حالة التفاعل بين الإنسان والمكان. إن الجمادات التي يفترض بها الصمت أصبحت لسانًا ناطقًا بالحسرة، حاملة في طياتها صدى الفقد. وهكذا اندمج الحوار مع المكان ليمنح النص بعدًا شعوريًا قويًا، حيث لم يعد الصف فصلًا دراسيًا فقط، بل صار شاهدًا على الخسارة وموقعًا دائمًا للذكرى، تتردد فيه أصداء الغياب، وتغلفه ظلال الأسى.

وتتواصل هذه الحالة الشعورية المتأججة في كل زاوية من زوايا المدرسة، حيث تصطبغ الجدران بلون الحداد، وتغدو النوافذ مرايا تعكس وجوهًا أنهكها الشوق. تتبدل وظيفة الأشياء، فيغدو المقعد ضريحًا صغيرًا، والممرات مسالك للعزاء الصامت. حتى صوت الجرس الذي كان يبعث الحياة بين الحصص، أصبح نغمة حزينة تطرق القلوب بدل الأبواب. تتماهى المدرسة مع حالة الفقد، فلا تكتفي برصد الحزن، بل تعيشه، وتبكيه بطريقتها الصامتة.

يخترق الحزن صفحات الدفاتر، وتغدو الكلمات المكتوبة فيها مراثٍ مبطّنة، تسرد حكاية الغياب بمداد من الدموع. إن الصمت الذي يخيّم على المكان ليس فراغًا، بل حضور كثيف لذكرى من رحلوا، يتمدد في الهواء

كأنفاسهم الأخيرة. وتتحول المدرسة من مبنى تعليمي إلى كيان شعري، يحتضن مشاعر الفقد كأنها جزء من مناهجه، يعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان والمكان على نحو مغاير.

فالمدرسة، في هذا النص، لم تعد مجرد بيئة للتعلّم، بل غدت مرآةً لعاطفةٍ جماعيةٍ مكلومة، وصوتًا ناطقًا باسم الغائبين، تحفظ حضورهم في الغياب، وتمنحهم حياة أخرى من خلال الحنين.

المبحث الرابع: الأماكن المفتوحة، و الأماكن المغلقة

تعتبر الأماكن المفتوحة والمغلقة عناصر حيوية في تكوين البيئة الحضرية والريفية، حيث تؤدي كل منهما دورًا مهما في الحياة اليومية للسكان. الأماكن المفتوحة تشمل الفضاءات الطبيعية والعامة مثل الحدائق والساحات والشواطئ، حيث توفر فرص الترفيه والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد.

كما تساهم في تحسين جودة الحياة من خلال توفير هواء نقي ومساحات واسعة للتنزه واللعب. من ناحية أخرى، الأماكن المغلقة تشمل المباني السكنية التجارية، والمرافق العامة، والتي تتيح للأفراد الحصول على الحماية والاستقرار الضروريين، وتساعدهم في تحقيق احتياجاتهم الأساسية من السكن، والعمل، والخدمات المختلفة. بعد التوازن بين الأماكن المفتوحة والمغلقة أمرا بالغ الأهمية، حيث يتطلب التخطيط الحضري الفعال ضمان وجود مساحات كافية من كل نوع لتلبية احتياجات المجتمع المتنامية، وتعزيز الجانب الاجتماعي، والبيئي، والاقتصادي في المدن. وبهذا فإن فهم. طبيعة ودور كل من الأماكن المفتوحة والمغلقة يساعد في تحسين استدامة ورفاهية المجتمعات، مما ينعكس بشكل إيجابي على نوعية الحياة والسعادة العامة للأفراد. في سباق العصر الحديث، يزداد التركيز على كيفية دمج العناصر الطبيعية مع البنية التحتية المغلقة لتعزيز الشعور بالانتماء وتحقيق التوازن البيئي، مما يجعل من الضروري دراسة هذه العوامل بشكل شامل وبطريقة متكاملة تساهم في تطوير استراتيجيات فعالة للنمو المستدام؛ لذلك تحظى الأمكنة بأهمية بالغة في تأثيرها على الفرد، فهي تؤثر في أحاسيسه وانفعالاته، إذ أن الشعور بالانتماء إلى مكانٍ ما يدفع الأديب إلى أقصى درجات البوح والتعبير، ويمنح العمل الأدبي طابعًا من التميز والتفرد، مما يُسهم في إدراجه ضمن نطاق الإبداع الحقيقي. فالأمكنة يمكن اعتبارها... هل ترغب أن أُكمل الفقرة بناءً على هذا المدخل؟ " مسرحاً لعمل الشخصيات وتنقلاتها ونمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصية نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة مثل الشوارع، و الأحياء، و المحطات، و أماكن لفاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي" [22]، فالأماكن المفتوحة تتشابه إلى حد كبير مع الأماكن المغلقة، فكلاهما يمتلك نفس الصفات والخصائص، و "في تحديد أنواع الأماكن وتسميتها اختلف النقاد والباحثون اختلافاً واضحاً، لكن على الرغم من تعدد أنواع المكان واختلافها إلاّ أنها تحمل نفس الخصائص"[23]، يوحي المكان المفتوح بالحرية والانطلاق، فهو يتيح للفرد مساحة واسعة للحركة والتنقل، ويمنحه شعوراً بالتحرر والانفتاح. وقد تنوع حضور هذه الأمكنة في تجربة الشاعر مشتاق حميد، إذ أشار إلى الأماكن المفتوحة في عدد من قصائده، موظفاً إياها كرموز دلالية تعبّر عن الأمل، والانفلات من القيود، والتوق إلى فضاءات أرحب قصيدة(أوأن الأوانِ)، إذ يقول فيها:

من أين لي كون يفيض مودة
يأتمني نجماً
وليلاً مقمرا ؟
أين التي
تحتل ساحة جبهتي

من قبلةٍ تهب الصحاري أنهرا ؟(24)

فـي هـذه الأبيـات الشـعرية، يتجلـى المكـان المفتـوح كرمـز حيـوي للحنـين والبحـث عـن حضـنٍ آمـن يفـيض دفئـاً ومـودة. الشـاعر يتـوق إلـى فضـاءٍ رحـب يحتويـه، (كـون يفـيض مـودة)، كـون لـيس مجـرد حيّـز جغرافـي، بـل مسـاحة شـعورية تُشـبع نـداء القلـب وظمـأ الـروح. هـذا المكـان المفتـوح لا يحـدّه جـدار أو سـقف، بـل هـو كـونٌ تتسـع فيـه الأحاسـيس، وتتحـول فيـه النجـوم إلـى حـراس للأمـان، والليـالي المقمـرات إلـى مرافـئ للسـكينة. كمـا تُحيـل الصـورة الشـعرية إلـى المكـان العـاطفي الـذي تحتـل سـاحة جبهتـه فيـه قبلـةٌ تحـوّل القحـط إلـى خصـب، وتبعـث الحيـاة فـي صـحراء الشـعور الجـاف. هكـذا يصـبح المكـان المفتـوح تجسـيدًا لحالـة وجدانيـة يرنـو الشـاعر إليهـا، مكـان يتجـاوز مادّيتـه ليكـون ملاذًا عاطفيًا، رحبًا، لا تحدّه إلا رغبة الشاعر في الامتلاء بالعاطفة والسكينة.

المكان المغلق

تُطلـق تسـمية "الأمـاكن المغلقـة" علـى الفضـاءات التـي تـوحي بخصوصـية تـرتبط بأشـخاص معينـين، أو بتأثيرهـا العميـق فـيهم. فالمكـان المغلـق يحمـل دلالات الانكفـاء والانغـلاق، ويقيّـد حريـة الحركـة، معبّـراً عـن مشـاعر الضـيق والضـجر، وكـذلك عـن العجـز عـن التفاعـل مـع العـالم الخـارجي أو مـع الآخـرين " هـو مكـان يـوحي بـالانغلاق والتقيـد بالحركـة ويعبـر عـن الضـجر وعـدم القـدرة علـى الفعـل والتفاعـل مـع العـالم الخـارجي أي مـع الآخـرين"(25) ، ومـن خـلال إبـراز صـورة المكـان المغلـق تنكشـف أمـام المتلقـي التحـولات النفسـية والوجدانيـة التـي تنبثـق داخـل هـذا الفضـاء الضـيق، بكـل مـا يحملـه مـن ألـم وحـزن، وصـور تعبّـر عـن التقييـد والانـزواء. فالأديـب يسـعى إلـى تصـوير تلـك التجـارب التـي تجـري داخـل هـذه الأمـاكن برؤيـة واقعيـة وموحيـة، مثـل القبـور، السـجون، وردهـات المرضـى، حيـث ينقـل الأدبـاء أبعـاد هـذه الأمكنـة المغلقـة ومـا يرافقهـا مـن معانـاة وأسًـى، إضـافة إلـى البواعـث النفسـية التـي تنـذر بـالقلق وانعـدام الطمأنينـة. ومـن بـين تلـك النمـاذج الأدبيـة، نجـد قصـيدة الشـاعر مشـتاق حميـد(أين عصـاك؟) التـي تنـاول فيهـا هذا المضمون بوضوح وتجسيد مؤثر.

كُتبت إلى الطفل المعذب(موسى)، الذي فارق الحياة بسبب حقد زوجة أبيه...

أين عصاك؟

يا موسى قُل أين عصاك؟

لتهش بها حقد المرأة...

وبها تضرب من آذاك

يا موسى قُل أين عصاك ؟

يا موسى قلي

كيف وجدت الموت هناك ؟

أدري ليس كطعم الملح ....

أو طعنات فوق الجرح ...!

قلي كيف الموت أتاك ؟ !

هل داوى الله جراحك بيديه ؟

هل ناداك الرب إليه ؟

هل بالدمع شكوت أذاك؟
أبكيت عيوناً يا موسى
الجراحك أبداً لا ننسى
يا من دود الأرض نعاك
يا موسى فالله دعاك

حتى تنجو من آلامك من أحزانك من بلواك...
يا موسى قُلْ أين عصاك(26)

فـي هـذه القصـيدة، يوظـف الشـاعر فكـرة المكـان المغلـق مـن خـلال رمزيـة المـوت بوصـفه العتبـة القصـوى للانفصـال عـن العـالم، والانغـلاق الكامـل عـن الحيـاة وضـجيجها. فالمكـان الـذي يُسـتدعى فيـه موسـى بعـد موتـه لـيس مجـرد قبـر أو فضـاء مـادي محـدود، بـل هـو عـالم مغلـق يتـوارى فيـه الجسـد وتنفصـل فيـه الـروح عـن الواقـع. تتكـرر صـيغة النـداء "يـا موسـى قـل أيـن عصـاك؟"، كأنهـا صـدى حـائر فـي فـراغٍ مسـدود، يحـاول أن يسـتعيد موسـى مـن موتـه، مـن ذلـك الفضـاء المغلـق الـذي لا عـودة منـه. وهـذا التكـرار يُعبّـر عـن رغبـة فـي كسـر هـذا الحـاجز المكـاني الـذي صـنعه الموت، تلك القوقعة النهائية التي لا يمكن للنداء اختراقها.

كمـا يظهـر المـوت فـي الـنص كمكـان مغلـق محـاط بالأسـئلة، معـتم ومجهـول، يـدعو للتأمـل والخشـية. ويتجسـد فـي سـؤال "كيـف وجـدت المـوت هنـاك؟"، وكـأن الشـاعر يحـاول رسـم ملامـح هـذا المكـان المسـتتر. وتـزداد هـذه الفكـرة تعمقـاً حـين يقـول: "هـل داوى الله جراحـك بيديـه؟"، وهـو تسـاؤل يحمـل فـي طياتـه توقـاً لمعرفـة مـا إذا كـان فـي ذاك المكـان المغلق رحمة، عزاء، وشفاء لما لم تبلُه الحياة.

بهـذا، يصـبح المـوت فـي القصـيدة أكثـر مـن لحظـة انتهـاء، بـل يتحـول إلـى موقـع مغلـق يحمـل ثقـلاً عاطفيـاً وروحياً، يفصل بين الحياة والخلود، ويكثف شعور الفقد، والعجز، والانكفاء أمام المجهول.

الخاتمة

يتّضح من خلال هذا البحث أنّ المكان في ديوان صفتان لعمر واحد ليس مجرد إطار خارجي للأحداث أو خلفية صامتة للصور الشعرية، بل هو عنصر بنائي محوري يتجاوز البعد الجغرافي ليغدو كيانًا دلاليًا ينبض بالرموز والانفعالات والتجارب الوجودية. فقد تنوّعت تجليات المكان بين الحسي الواقعي والذهني الرمزي، مما أضفى على النصوص طاقة تعبيرية غنية، وكشف عن عمق العلاقة بين الذات الشاعرة ومحيطها، بما يحمله من مشاعر الحنين، والاغتراب، والانتماء، والتمرد أحيانًا.

كما أظهر الديوان حساسية شعرية مفرطة في تعاطيه مع المكان، حيث تماهى الشاعر مع تفاصيله، واستخدمه مرآةً لعوالمه الداخلية، مما جعل دراسة المكان مدخلًا مهمًّا لفهم البنية الشعورية والفكرية للنص. ومن هنا، يمكن القول إنّ المكان في هذا الديوان ليس مجرد حضور فني، بل هو تجربة إنسانية وشعرية تتكثّف فيها الرؤى، وتتجسد فيها الهواجس، في لغة تمتح من اليوميّ والحميميّ وتسمو إلى الرؤيويّ والمجرد.

وبـذلك، يسـهم هـذا الـديوان فـي إثـراء تجربـة الشـعر العربـي المعاصـر مـن خـلال إعـادة تشـكيل المكـان وتوظيفـه فنيًا ليحمل أبعادًا جمالية ودلالية متعددة، تجعل من النص مجالًا رحبًا للتأويل والقراءة المفتوحة.

الهوامش

1. ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين، دار صادر نط!،ج13، 1990، مادة (ك، و،ن)
2. محمد، إبراهيم إسماعيل، معجم الألفاظ، و الإعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998: 505
3. الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني، تاج العروس، من جواهر القاموس، تسع عشرة تح، عبد المنعم خليل إبراهيم، و كريم سيد محمد، دار الكتب المصرية، ط2، 2007، ج20: 94
4. فوغالي، باديس، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، جدار الكتب العالمي، ط1، 208: 176
5. فوغالي، باديس، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، جدار الكتب العالمي، ط1، 208 : 37
6. حسين نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، 2000: 52
7. عبد الملك المرتاخين المستوى الزماني والمكاني في تحليل الخطاب القرني لدى عبد الملك المرتاخ، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2006: 39
8. بسام، علي أبو بشير، جماليات المكان في رواية (باب الساحة)لسحر خليفة، مجلة الجامعة الاخلاقية،م15،ع2، 2007: 273
9. نظرية المنهج التشكيلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، و الشركة الغربية للناشرين المتحدين، بيروت لبنان،1998: 137
10. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق،ج7: 45
11. اميل يعقوب، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية،ط1ن دار العلم للملايين، بيروت، 1987: 235
12. عثمان بدري، بالدلالة المفارقة للمكان الروائي عند عبد الحميد بن هدوقة، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،ع13، 1993: 61
13. هشام شعبان، السرد الروائي في أعمال إيرائهم نصر الله، دار الكندي، عمان، الأردن، 2004: 292
14. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة، و الأدب،ط1، مكتبة لبنات، بيروت،1984: 208
15. مشتاق حميد فنجان، ضفتان لعمر واحد ، دار زهراء العوضي للنشر والتوزيع، ط1، 2024: 7
16. الديوان : 22

17. الديوان : 33

18. ابن منظور، لسان العرب، مادة حور، ج2، دار المعارف، القاهرة : 1042-1043

19. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984،ط1، 48

20. غبد الله إبراهيم، البناء الفني لرواية الحرب في العراق 1980-1985 رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد،1987: 186

21. الديوان : 45

22. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990: 4

23. ضحى على فهد، علي أحمد بكثير وأدبه ونثري الرواية التاريخية أنموذجا، دراسة فنية، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية، بغداد 2011: 19

24. الديوان : 68

25. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990: 6

26. الديوان: 8

المصادر

1. ابن منظور، لسان العرب، مادة حور، ج2، دار المعارف، القاهرة : 1042-1043

2. مشتاق حميد فنجان، ضفتان لعمر واحد ، دار زهراء العوضي للنشر والتوزيع، ط1، 2024

3. أميل يعقوب، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية،ط1ن دار العلم للملايين، بيروت، 1987: 235

4. أيوب، ضياء عبد الرزاق خورشيد، ازاد عبد الله، المكان والزمان في القصة القصيرة في ادب زهدي الراوي، كلية ديالى، ع51، 2011: 6

5. بسام، علي أبو بشير، جماليات المكان في رواية (باب الساحة)لسحر خليفة، مجلة الجامعة الاخلاقية،م15،ع2، 2007: 273

6. بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، دار التنوير، ط، بيروت، لبنان، 1085: 77

7. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984،ط1، 48

8. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990: 4

9. حسين نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، 2000: 52

10. الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني، تاج العروس، من جواهر القاموس، تسع عشرة تح، عبد المنعم خليل إبراهيم، و كريم سيد محمد، دار الكتب المصرية، ط2، 2007، ج20: 94

11. ضحى على فهد، علي أحمد بكثير وأدبه ونثري الرواية التاريخية أنموذجا، دراسة فنية، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية، بغداد 2011: 19

12. عبد الملك المرتاخين المستوى الزماني والمكاني في تحليل الخطاب القرىني لدى عبد الملك المرتاخ، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2006: 39

13. عثمان بدري، بالدلالة المفارقة للمكان الروائي عند عبد الحميد بن هدوقة، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،ع13، 1993: 61

14. غبد الله إبراهيم، البناء الفني لرواية الحرب في العراق 1980-1985 رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد،1987: 186

15. فوغالي، باديس، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، جدار الكتب العالمي، ط1، 208: 176

16. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة، و الأدب،ط1، مكتبة لبنات، بيروت،1984: 208

17. محمد، إبراهيم إسماعيل، معجم الألفاظ، و الإعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998: 505

18. نظرية المنهج التشكيلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، و الشركة الغربية للناشرين المتحدين، بيروت لبنان،1998: 137

19. هشام شعبان، السرد الروائي في أعمال إيرائهم نصر الله، دار الكندي، عمان، الأردن، 2004: 292